المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/nj.v9i4.489

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 6-10-2025
تاريخ القبول: 11-11-2025

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في علوم الوحي والدراسات الإنسانية

قراءة في كتاب: «الإسلام العقلاني عند سليمان بشير ديان» لعليون باه

آمنة جالو[1]

dialloamina798@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى مقاربة كتاب الإسلام العقلاني عند سليمان بشير ديان مقاربة تتجاوز العرض التلخيصي إلى مساءلة المفاهيم التي يقوم عليها، من خلال إعادة بناء العلاقة التي يقيمها المؤلف بين العقل والدين في الأفق الإسلامي الحديث. وقد تم اعتماد منهج تحليلي-تفكيكي يوازن بين تتبع البنية الداخلية للنصوص، وربطها بالمقولات الفلسفية التي تستند إليها، مع إبراز مدى قدرتها على الانفتاح على النقاشات الإبستيمولوجية المعاصرة. أما خطة القراءة فقد توزعت على ثلاث محطات: المقدمة التي تضع الإشكالية في سياقها التاريخي والفكري وتبين ضرورة هذه المقاربة؛ والعرض الذي يسير فصلًا بعد فصل متتبعا جملة المفاهيم التي يوظفها المؤلف في بناء أطروحته، من قبيل العقلانية، الحرية، التعددية، والاجتهاد، مع إظهار شبكة التداخل بينها وبين التراث الإسلامي والفلسفة الحديثة؛ ثم الخاتمة التي تستخلص الدلالات النظرية والعملية لهذا المشروع الفلسفي. وقد انتهت القراءة إلى أن الكتاب يمثل محاولة جريئة لإعادة تأصيل الإسلام ضمن أفق عقلاني يتسع لرهانات الحداثة ويعيد بناء المعنى الديني على أساس نقدي، غير أن بعض المآخذ تظل قائمة. ومن ثم فإن هذه القراءة تفتح المجال أمام إعادة تفكير فلسفي متجدد في إمكانات الإسلام العقلاني اليوم.

الكلمات المفتاحية:

الإسلام، العقلانية، الفلسفة، الصوفية، سليمان بشير.

(1) دكتوراة في الدراسات الإسلامية، أستاذة باحثة في جامعة الجنرال لنسنا كونتي بكوناكري.

للاقتباس: جالو، آمنة، قراءة في كتاب: "الإسلام العقلاني عند سليمان بشير ديان" لعليون باه، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج9، ع4، 2025، 234-246.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أُجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS
Received: 2025-10-6
Accepted: 2025-11-11

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في
علوم الوحي والدراسات الإنسانية

A Review of Alioune Bah's Book: Rational Islam in the Thought of Souleymane Bachir Diagne

Amina Dialo[2]

diailoamina798@gmail.com

Abstract:

This study engages Souleymane Bachir Diagne's Rational Islam by moving beyond a mere summary to a critical exploration of its core ideas, particularly the relationship he constructs between reason and religion in the modern Islamic context. Using an analytical-deconstructive approach, it examines both the internal structure of the text and its philosophical underpinnings, while emphasizing its relevance to contemporary epistemological debates. The reading unfolds in three stages: an introduction situating the problem historically and intellectually; a detailed presentation that traces Diagne's use of concepts such as rationality, freedom, pluralism, and ijtihad, and their intersections with Islamic tradition and modern philosophy; and a conclusion that draws out the theoretical and practical implications of his project. Ultimately, the research finds the book to be a daring effort to reframe Islam within a rational paradigm responsive to modern challenges and capable of critically reconstructing religious meaning, though it acknowledges certain limitations and calls for further philosophical reflection on the promise of rational Islam today.

Keywords:

Islam, Rationality, Philosophy, Sufism, Souleymane Bachir.

(2) PhD in Islamic Studies, Research Professor at General Lansana Conté University in Conakry.

Cite this article as: Dialo, Amina, A Review of Alioune Bah's Book: Rational Islam in the Thought of Souleymane Bachir Diagne, Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 9, issue 4, 2025, 234-246.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read, and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

المقدمة:

يحظى موضوع العلاقة بين الإسلام والعقل باهتمام متزايد في الفضاء الفلسفي المعاصر، وخاصة في السياق الإفريقي، حيث تتداخل الأسئلة حول الهوية والدين والتحديث. ويأتي كتاب «الإسلام العقلاني عند سليمان بشير ديان»[3] من تأليف عليون باه كمساهمة فكرية ثرية في هذا المجال، إذ يسعى إلى تقديم قراءة منهجية لفكر أحد أبرز المفكرين الأفارقة المعاصرين، وهو سليمان بشير ديان، الذي يُعد صوتًا عقلانيًّا صوفيًّا يُعيد طرح الإسلام كدين للعقل والحرية.

يهدف هذا البحث إلى تحليل الكتاب قراءة منهجية، لاستجلاء المفاهيم الأساسية التي يطرحها، والإطار الفلسفي الذي ينطلق منه، والرهانات الثقافية والفكرية التي يتناولها، خاصة في ظل تحديات الحداثة والعولمة.

ويكتسي هذا العمل أهميته من عدة أوجه؛ أولًا: لأنّه يعيد تقديم فكر سليمان بشير ديان في صيغة ممنهجة للقارئ، وثانيًا: لأنه يسلط الضوء على إسلام تأويلي عقلاني ينفتح على قضايا الفلسفة والحرية والإنسان، بعيدًا عن الثنائيات الصراعية المألوفة في السجال الإسلامي الحديث. كما أن الكتاب يسعى إلى المساهمة في بناء هوية دينية عقلانية تستجيب لحاجات التحديث دون أن تقع في الاستلاب أو القطع مع التراث.

ومن هنا، تأتي هذه القراءة في سياق تحليل مضامين الكتاب وتفكيك أطروحاته المركزية، وبيان خلفياتها المنهجية والمعرفية، ومناقشة إمكاناتها وحدودها داخل الفضاء الإسلامي الإفريقي الأوسع.

والسؤل المركزي في هذه القراءة هو: إلى أي مدى استطاع عليون باه في كتابه أن يقدم تصورا متكاملا وناقدا للعقلانية الإسلامية كما تجلت في فكر سليمان بشير ديان؟ وما هي حدود هذا التصور وإمكاناته في سياق الفكر الإسلامي المعاصر؟

يهدف هذا الكتاب إلى تقديم قراءة فلسفية معمقة للفكر الإسلامي الحديث من خلال فكر سليمان بشير ديان، مع التركيز على العلاقة بين العقل والوحي، والبحث في إمكانيات تأسيس عقلانية إسلامية منفتحة على الحداثة دون أن تفقد جذورها الدينية. ويأتي الكتاب كدعوة إلى تجاوز الثنائية التقليدية بين النقل والعقل، والبحث عن نماذج جديدة للتفكير الديني العقلاني في السياق الراهن.

ويتجلى إتقان المؤلف لموضوعه وقدرته على التنقل بين نصوص الفلسفة وعلم الكلام والتاريخ والتصوف.

---

(3) تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب نشر باللغة الفرنسية ولم يترجم بعد، ولقد قدم له البروفيسور الفرنسي المتخصص في التصوف: إيريك جوفراي، وكتب الكلمة الختامية: سليمان بشير ديان.

يستند الدكتور عليون باه في كتابه إلى منهج تركيبي يجمع بين التحليل المفاهيمي والتأويل النقدي والمقارنة الثقافية. فهو يحلل المفاهيم المحورية في فكر ديان، كالعقل والوحي والتصوف، ويُدخل الكتاب في حوار مقارن مع مفكرين كابن رشد وإقبال وأركون، مما يمنحه بعدا فلسفيا تعدديا. كما يعرض أفكار ديان بشكل منظم يتيح مدخلا تمهيديا، ثم يتجاوز الوصف إلى تأويل نقدي في بعض الأحيان، حيث يُقيم مشروع ديان ويختبر حدوده المعرفية والدينية بطريقة مؤدبة قد لا يلاحظه القارئ العابر.

ويمكن تفكيك عنوان الكتاب وشرحه على النحو الآتي:

الإسلام: يقصد بالإسلام في هذا السياق لا مجرد الدين من حيث العقائد والعبادات، وإنما باعتباره رؤية شاملة للوجود، تؤطر علاقة الإنسان بالخالق والعالم والآخر[4]..

العقلاني: تحيل صفة «العقلاني» إلى التوجه الفلسفي الذي يُنزل العقل منزلة مركزية في فهم الدين وممارسته، دون أن يعني ذلك نفي الغيب أو إقصاء الوحي [5].

عند سليمان بشير ديان: تشير هذه العبارة إلى أن الطرح المعروض ليس قراءة عامة أو مذهبا تقليديا، بل هو رؤية فلسفية معاصرة يُعيد من خلالها سليمان بشير ديان فهم الدين من منظور عقلاني وإنساني وأخلاقي[6].

نبذة عن المؤلف:

يجتمع في هذا الكتاب مفكران إفريقيان معاصران يتقاطعان في الانشغال بسؤال الإسلام والعقل والتجديد، وإن اختلفا من حيث الدور. فسليمان بشير ديان هو فيلسوف سنغالي شهير، انشغل طيلة مسيرته بإعادة بناء تصور عقلاني للإسلام ينفتح على الحداثة دون أن يتخلى عن جذوره الروحية. أما عليون باه فهو كاتب ومفكر غيني، وُلد في كوناكري سنة 1979، ويمثل أحد الوجوه الصاعدة في الفكر الإسلامي المعاصر في غرب إفريقيا، خصوصًا بين النخب الفرانكفونية. درس الفلسفة والعلوم السياسية والموارد البشرية في فرنسا، وله اهتمام خاص بالفكر الإسلامي العقلاني، والحوار بين الأديان. يعمل حاليا أستاذا مساعدا في جامعة الجنرال لنسنا كونتي بكوناكري، وهو نائب عميد كلية

(4) Souleymane Bachir Diagne, Comment philosopher en islam ? Albin Michel, 2013, pp 14–18. Souleymane Bachir Diagne, Open to Reason: Muslim Philosophers in Conversation with the Western Tradition, Columbia University Press, 2018, pp. 1–3.
(5) Alioune Bah, L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne, Ed. Riveneuve, 2023, pp. 35–44.
(6) Souleymane Bachir Diagne, Bergson postcolonial: L'élan vital dans la pensée de Léopold Sédar Senghor et Mohammed Iqbal", Éditions du CNRS, 2011.

الآداب والعلوم الإنسانية المكلف بالبحث العلمي، ومدير ماجستير الفلسفة وعلم النفس في نفس الجامعة، وساهم في منصات فكرية تناقش قضايا الإسلام الإفريقي والهوية.

أبرز أعمال عليون باه:

- L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne.
- Le Pater Noster et la Fatiha : deux textes, une même prière.
- La réception théologique et philosophique de l'islam en Europe à l'époque moderne.
- La vision islamique de la tolérance, Encyclopédie islamique.
- Inventivité et responsabilité : l'accueil de l'autre selon Derrida.

يتكون كتاب: «الإسلام العقلاني عند سليمان بشير ديان» على مقدمة وخمسة فصول تليها خاتمة، وهذا مجمل ما جاء في فصوله:

الفصل الأول: نحو أنثروبولوجيا قرآنية[7]:

يستعرض الفصل الأول أطروحة مركزية في فكر ديان، وهي أن الإنسان ليس مجرد مخلوق، بل هو فاعل مكلف بتحقيق وجوده في ضوء العلاقة مع الله. ويؤسس ديان رؤيته على مفهوم قرآني أصيل هو الميثاق الأزلي الموجود في آية سورة (الأعراف: 172)، الذي يعكس صلة الإنسان بالله قبل الخلق الأرضي، مما يضفي على الوجود الإنساني طابع المسؤولية والحرية.

يبرز ديان من خلال هذا التصور ما يسميه المؤلف بالأنثروبولوجيا القرآنية، أي التصور القرآني للإنسان ككائن حر، واع، مكرم، يتحمل أمانة الوجود ومسؤولية الكشف عن معاني الحياة. وهذه المقاربة تنبني على تأويل آية الأمانة في سورة (الأحزاب: 72) بوصفها تكليفا أخلاقيا ومعرفيا، لا مجرد اختبار.

ويرى ديان، متأثرا بالفيلسوف محمد إقبال، أن الإنسان في القرآن ليس كائنا سلبيا بل مشارك في الفعل الإلهي عبر وعيه وعمله واختياره. كما أن الله في رؤيته لم يخلق عالما ساكنا بل متجددا ما يدل على كوسمولوجيا مفتوحة تتيح للإنسان مجال الفعل والاكتمال.

(7) Alioune Bah, L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne, pp. 23–48.

يستعرض عليون باه أيضًا توازي هذه الرؤية مع أطروحات معاصرة، مثل ما كتبه إريك جوفراي عن كون الإنسان «مولودا مكرسا لله»، وهي إشارة إلى أن التوحيد أصل في الوعي البشري قبل ظهور الممارسات الوثنية.

ومقابل ذلك، ينتقد ديان التصورات الجبرية للحياة، مثلما ظهرت في تأويلات لايبنتز حول «أفضل العوالم الممكنة»، والتي تُفهم عنده كتقييد للحرية الإنسانية ضمن نظام مغلق.

وهذا يوافق كذلك ما نجده عند علي شريعتي حيث يقول: «من أعظم خصائص الانسان في نظر القرآن هو إرادته وحريته، فهو الكائن الوحيد الذي يمكنه أن يخرج عن الصورة التي خلق عليها، وهو الوحيد الذي يمكنه أن طبيعته وفطرته، كاحتياجاته المادية والمعنوية وغرائزه الجسدية»[8].

ويختتم الفصل بتأكيد أن حرية الإنسان هي جوهر وجوده، وأن أولى تجليات هذه الحرية كانت في قدرته على قول «لا»، في إشارة إلى العصيان الأول، الذي لا يُعد مجرد تمرد بل تدشينا للوعي الأخلاقي والاختيار.

الفصل الثاني: منحة العقل وإشكالية الوحي[9]:

في هذا الفصل يميز عليون باه بين ثلاثة أنماط من العقل:

العقل العلمي: يتميز بطابعه البرهاني والتفسيري، ويقوم على إمكانية إعادة إنتاج التجارب. وقد أشار إلى نماذج من العلماء مثل نيوتن، وكوبرنيك، وغاليلي الذين أسهموا في بناء هذا النمط من العقل.

العقل الديني: يفرق فيه باه بين الدين والوحي، ويعتمد غالبا على التقليد، إذ يعيد إنتاج التعاليم والممارسات الموروثة.

العقل الفلسفي: يتميز بالمنهج الجدلي والمنطقي، ويرتكز على انسجام القضايا ورفض كل أشكال الجمود العقائدي أو الدوغما.

يركز هنا على المكانة المحورية للعقل في التصور القرآني كما يقدمه سليمان بشير ديان. فالعقل، في نظر ديان، ليس مجرد أداة مساعدة في فهم الدين، بل هو أساس من أسس الإيمان ذاته، وهو ما يعكسه كثرة ورود مفردات مثل: العقل، الفهم، الفكر، في القرآن، مباشرة بعد اسم الجلالة.

---

(8) الإنسان والإسلام، علي شريعتي، دار الصحف، طهران، الطبعة الثانية، 1411.

(9) Alioune Bah, L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne, p 49- 82

Entretien avec Alioune Bah, site Oumma.com [https://oumma.com/entretien-alioune-bah-auteur-du-livre-lislam-rationnel-de-souleymane-bachir-diagne] .

يستشهد المؤلف بحادثة مشهورة وردت في السنة، حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل عما يفعل إن لم يجد في القرآن أو السنة حكما، فأجابه: «أجتهد رأيي ولا آلوا»[10]، وهو ما يُعد، في نظر ديان، مصادقة نبوية على استخدام العقل في تدبير الحياة. ومن هنا، يرى ديان أن الوحي الإسلامي لم يُوجه إلى الإنسان إلا لأنه مُزود بالعقل الذي يمكنه من فك رموزه.

يناقش الفصل أيضا أربع دلالات قرآنية متصلة بالعقل:

التمييز العقلي: حيث تتكرر في القرآن عبارات مثل «لأولي الألباب» أو «يعقلون» قرابة خمسين مرة[11]، مما يدل على أن العقل أداة تكليف لا يمكن للإنسان أن يعذر بتعطيلها.

الذكاء العملي: وترد إشارات قرآنية متكررة إلى أهمية الفهم لاتخاذ القرار السليم في الواقع.

التفكر الكوني: حيث يُدعى الإنسان إلى التأمل في الشمس والقمر والنجوم والخلق كآيات للعقلاء.

نقد ضَعف الروح: فالقرآن يقر بضعف بعض العقول حين تُعطل أدواتها نتيجة الغرور أو العصبية، ويدعو إلى تصويب وجهتها لتدرك دلائل الخلق.

يؤيد هذه الرؤية كثير من المفكرين المسلمين المعاصرين، كمحمد أركون، الذي دعا إلى ما أسماه: إعادة فتح باب العقل في الفكر الإسلامي[12]. كما يتفق معها طه عبد الرحمن في دعوته إلى «التفكير الأخلاقي» كجزء من الإيمان[13].

الفصل الثالث: مقاومة العقل والحرية[14]:

يناقش هذا الفصل موقف الفيلسوف السنغالي سليمان بشير ديان من ظاهرة مقاومة العقل والحرية في عدد من التيارات الإسلامية المعاصرة، ويُرجع جذورها إلى النزعة الحصرية التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة باسم الدين، وهو ما يفرغ قيمة التعدد من محتواها ويحول الخلاف إلى صراع.

يطل علينا فكر ديان متجاوزًا ثنائيات العقل أو النقل، ليبني مشروعًا تأويليًّا عقلانيًّا يُعلي من قيمة الحوار الداخلي داخل الإسلام، مستفيدا من تراث المعتزلة في تقديس العقل وليس منافسته للوحي،

(10) أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م (22007)، السنن، أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت (3600).

(11) انظر: المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، د عبد الرحمن بن محمد الحجيلي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، مادة عقل، فكر، تدبر.

(12) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، الطبعة الثانية: 1996، مركز الانماء القومي، بيروت ص 51 فما بعدها.

(13) روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، طه عبد الرحمن، 2012، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

(14) Alioune Bah, L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne, pp. 83–118.

ومن فكر الفارابي وابن رشد في الإقرار بالتمازج بين المنطق الديني والفكر الفلسفي. ومع نقد الغزالي للفرقة، يطرح ديان نموذج «الفرقة الواحدة الجامعة» عبر تأويل ديمقراطي.

يشير ديان إلى أن القرآن والسنة يُقران بأن الاختلاف والتنوع في الفهم والتأويل من سنن الله في الخلق، غير أن الواقع يشيع فيه مبدأ الإقصاء والتكفير لكل رأي مخالف، حيث يعتبر كثير من التيارات أن «الفرقة الناجية» واحدة، والباقي ضالة. وهنا يعيد ديان قراءة الحديث النبوي الذي يذكر «انقسام الأمة إلى 73 فرقة»، ليخرج بفهم مغاير؛ إذ يرى أن الحقيقة لا تكمن في فرقة بعينها، بل في مجمل هذا التنوع الذي يُمثل تعددية التجارب الروحية والفكرية.

يستلهم ديان في هذا السياق تجربة الغزالي[15]، الذي تنقل بين الفرق والمذاهب باحثًا عن اليقين، ليصل إلى قناعة بأن النجاة تكمن في تجاوز الحصرية والارتماء في حضن «القلق الإيماني» أو «الحياء الوجودي أمام الله»، وليس في امتلاك صكوك الحق والباطل. وهذا ما يُترجم فلسفيا بفكرة «الفرقة الرابعة والسبعين» التي لا تدعي امتلاك الحقيقة، بل تسعى إلى تأليف رؤى متعددة ضمن أفق روحي واحد.

الفصل الرابع: إصلاح التعليم في الإسلام[16] :

يُقدم سليمان بشير ديان في هذا الفصل رؤيته الإصلاحية الجذرية للإسلام من خلال إصلاح التعليم، معتبرا إياه مفتاحا لتحرير العقل المسلم من الجمود والانغلاق. ويستلهم في ذلك تجربة محمد إقبال الذي نادى بإحياء الفكر الديني عبر إصلاح داخلي للنفس قبل المؤسسة.

ويرتكز هذا الإصلاح على ثلاثة محاور أساسية:

ترسيخ التعددية الداخلية في الفكر الإسلامي، وهي تعددية منصوص عليها في القرآن نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات: 13). ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (النحل: 93).

هذان النصان يعكسان – في رأي ديان – أن التنوع البشري والإيماني مقصودا إلهيا، لا ينبغي محوه أو الهيمنة عليه باسم وحدة وهمية. فالقرآن يُدين رفض الاختلاف، لا الاختلاف ذاته.

نقد الأرثوذكسية الجامدة: يدعو ديان إلى تجاوز الانغلاق المذهبي الذي يخلط بين «الصواب

(15) Reason and Revelation in Harmony or Conflict? Ibn Rushd and al-Ghazali Mohamad Ashrof https://countercurrents.org/2024/07/reason-and-revelation-in-harmony-or-conflict-ibn-rushd-and-al-ghazali/

(16) Alioune Bah, L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne, pp. 119–168.

الظني» و«الحق المطلق». هنا يستلهم من إيمانويل كانط فكرة «الخروج من القصور العقلي»، مشيرًا إلى أن الإسلام يدعو إلى العدل لا إلى الشكلانية، وأن الإيمان الحقيقي لا ينفصل عن التفكير الحر والاستقلال العقلي.

القراءة الشبكية للقرآن: يقترح ديان تجاوز التفسير الخطي الأحادي إلى تفكيك شبكي للنص القرآني، يربط بين الآيات المتناظرة لفهم الأهداف الكبرى للوحي، وعلى رأسها ترسيخ الأخوة الإنسانية. وهذا البعد الصوفي – أو «الميتافيزيقا الصوفية» كما يسميه – يجعل الحب الإلهي والرحمة مركزا للتدين لا الخوف والتكفير.

وتُعزز هذه الرؤية دعوات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[17] لإعادة الاعتبار للعقل والاجتهاد.

ولقد قال محمد عبده بعد أن أصيب بخيبة أمل عندما التحق بالجامع الأحمدي وقرر الانفصال عن الدراسة: «وقضيت سنة ونصفا لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فإن المدرسين كانوا أيضًا يفاجئون باصطلاحات نحوية وفقهية لا نفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح فهربت من الدرس»[18].

ويختم ديان بدعوة مفتوحة إلى أن الإنسان المسلم له حق في المعرفة مثل غيره، مستشهدا بالحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». فبالعقل والعلم والفهم الرحب، يمكن للإسلام أن يبقى دين الحياة لا أيديولوجيا للانغلاق.

الفصل الخامس: العقل الصوفي[19]:

يختم عليون باه مشروع سليمان بشير ديان في «الإسلام العقلاني» بالحديث عن التجربة الروحية الصوفية، بوصفها امتدادًا وتكميلًا للمسار العقلي. ولعل عبارته الشهيرة: «الصوفية تتفتح عند أقصى درجات العقلانية»[20] تلخص هذا التصور الذي لا يرى تعارضا بين العقل والإشراق، بل وحدة في المسار نحو الكمال الإنساني.

في الفلسفة، يقود العقل إلى تساؤل لا نهائي؛ أما في الروحانية الإسلامية، فإن هذا المسار لا يبلغ غايته إلا حينما يتوحد الإنسان مع ذاته، تمهيدا للتوحد مع الإلهي. هذه الفكرة تجد جذورها في سورة

(17) رسالة التوحيد، محمد عبده، الطبعة الأولى، 1994، دار الشروق بيروت ص 65.

(18) ملخص سيرة الأستاذ الإمام، محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مصر، المجلد 8، الجزء 1، مارس 1905، ص318.

(19) Alioune Bah, L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne, pp. 169–204.

(20) Rémi Brague, Souleymane Bachir Diagne, la controverse : dialogue autour de l'islam, Paris, Stock, coll. « Les essais », 2019, Entretiens menés par Michel Eltchaninoff, p100. Souleymane Bachir Diagne, comment philosopher en islam ? p10 .

النور: «الله نور السماوات والأرض...»، وهو ما شرحه الغزالي في مشكاة الأنوار[21]، حيث النور الإلهي يضيف على نور العقل البشري – أي: «نور على نور».

بمعنى آخر، كلما نَقَتْ عقلية الإنسان من الأوهام والمسبقات، اقترب من إشراق داخلي يسمو بالحواس والعقل، متجاوزا الماديات إلى ما يسميه المتصوفة التحقق. وفي هذا السياق، تصبح الروحانية الإسلامية مشروعا تربويا يهدف إلى بناء الإنسان الكامل، لا مجرد طقوس ظاهرية.

ولأن الأنبياء. والأولياء هم النماذج العليا لهذا التحقق، فإن مهمتهم تتجاوز الذات إلى تحرير الجماعة من العنصرية، والقبَلية، والانغلاق. فكما يقول الحديث النبوي الذي يستشهد به ديان: «إذا أقبل عبدي إلي شبرا أقبلت إليه ذراعا». يتضح أن هذا اللقاء بين العقل والنور الإلهي ليس صدفة، بل تدرج روحي يستند إلى عمل أخلاقي وتعليمي أصيل. وبذلك، تتحول الروحانية الصوفية إلى مشروع اجتماعي-سياسي، هدفه خلق مجتمع يتجاوز حدود الانتماء القبلي أو الديني، نحو أخوة إنسانية شاملة. وهذا الطرح ينسجم مع دعوات روحية مشابهة لدى مفكرين كمحمد إقبال[22]، وجرن بوكار تال المفكر الافريقي المالي[23].

إن مشروع ديان في العقلانية الإسلامية لا يتوقف عند حدود الجدل النظري، بل يُحيل إلى مسؤولية أخلاقية شاملة: أن نُعلم ونُحب ونسعى نحو إنسانية تتسع للجميع، مهما اختلفت عقائدهم أو أوطانهم.

خاتمة:

عند قراءة كتاب عليون باه، يُخيل للقارئ أنه لا يحتوي على أي نقد لفكر سليمان بشير ديان الفلسفي. إلا أننا نلاحظ أن النقد موجود، لكنه ضمني وذكي، ويأتي مكمّلًا لفكر الفيلسوف السنغالي.

يوضح عليون باه في الفصل الثاني العلاقة بالعقل، حيث يبين بشكلٍ صريحٍ مختلف تمثلات العقل، وهو ما لا نجده مفصلًا لدى أستاذه.

ورغم الاحترام العميق الذي يُكنه لهذه الفلسفة، يعيد عليون باه قراءة مسار العقل في الديانات التوحيدية، ويبرز الخصوصية التي يتمتع بها كل تقليد ديني في علاقته بالعقل. وتجد هذا التوجه ذاته في تحليله للعقل داخل الفلسفة الألمانية. فمن المعروف أن سليمان بشير ينتقد هيغل، الذي في دروسه

(21) مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، الغزالي، شرح ودراسة وتحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب، بيروت، ص165- 166.

(22) Mohammed Iqbal, la reconstruction de la pensée religieuse en islam. Édition et trad. de l›anglais (Pakistan) par Abdennour Bidar. Préface de Souleymane Bachir Diagne, Collection Bibliothèque des Idées, Gallimard, 2020, p190 .

(23) Amadou Hampathé Ba, vie et enseignement de Tierno Bokar le sage de Bandiagara, édition du seuil, Paris, 1980.

عن فلسفة التاريخ، يستبعد إفريقيا السوداء كمصدر لإنتاج المعرفة التي يمكن أن ترقى إلى مستوى الفلسفة. وقد تم انتقاد هذا التمركز الأوروبي لدى هيغل في العديد من الكتابات الإفريقية. وهنا يعود عليون باه إلى هيغل، لا لرفضه، بل لمصالحته مع سليمان بشير، مع إبراز حدود فكره.

ويُلاحظ أيضًا أنه يستحضر مؤلفين مثل شيلنغ (Schelling)، الذين لا نجد لهم أثرًا في أعمال سليمان بشير ديان. وبالتالي، فإنّ نقد عليون باه لأعمال ديان ليس نقدا هداما، بل يسهم في توضيحها واستكمالها، خاصة وأن فكر ديان يتميز بكثافته ، ويُطرح غالبا ضمن مؤلفات حوارية مع مفكرين آخرين حول قضايا محددة لا تتيح مجالا كبيرا للتوسع والاستطراد. وتُقدر هذه الطريقة الأنيقة في ممارسة الفلسفة، التي تكمل بدل أن تدين، وتوضح بدل أن تهاجم بأساليب عقيمة أحيانا.

ورغم القيمة الفكرية العالية لعمل عليون باه، وحرصه الواضح على تقديم قراءة شارحة ومكملة لفكر سليمان بشير ديان، إلا أن الكتاب لا يخلو من بعض الملاحظات النقدية المنهجية. فمن جهة، يُلاحظ أن عليون باه لم يستثمر الإمكانات الغنية لفكر طه عبد الرحمن في موضوع العقلانية الروحية، وهو ما كان من شأنه أن يُثري المقارنة ويوضح نقاط الالتقاء والافتراق بينه وبين سليمان بشير، خصوصا فيما يتعلق بمفهوم «العقل المَجازي».

ومن جهة أخرى، تبدو بنية الكتاب غير متوازنة؛ إذ تختلف الفصول من حيث الحجم بشكل لافت، فبينما لا يتجاوز الفصل الأول 25 صفحة، يمتد الفصل الرابع إلى 40 صفحة، دون تبرير واضح لهذا التفاوت، مما يؤثر على التناسق العام في العرض.

أما على مستوى قائمة المصادر، فإن المؤلف لا يُفرق بدقة بين المراجع بحسب طبيعتها؛ إذ لم يفصل بين تلك التي تتناول الفلسفة تحديدا وتلك التي تندرج ضمن العلوم الدينية. وكان من شأن هذا الفصل أن يُسهم في تسهيل الوصول السريع إلى المصادر بالنسبة للقراء غير المتخصصين في الفلسفة، ممن يهمهم الجانب الديني. ومع ذلك، يمكننا أن نقدر أن مقاربة المؤلف قامت على إبراز كيف أن مجمل هذه المؤلفات تُضيء إشكالية لا تقتصر على كونها فلسفية فحسب، بل تنفتح أيضا على مقاربة إبستمولوجية تتيح توضيحا أعمق للرهانات النظرية والعملية التي يتناولها المؤلفون.

كان من الأفضل لو أن الكاتب اتخذ مسافة نقدية من أطروحة «الإسلام العقلاني» المقارن لمشاريع فكرية إسلامية أخرى إلا أن ذلك غاب من الكتاب، مما أضعف من القيمة الجدالية للطرح، وترك القارئ أمام رؤية أحادية لا تكشف عن إشكالاتها إلا ضمن قراءة خارجية أوسع.

المراجع:

شريعتي، علي. (1411هـ). *الإنسان والإسلام* (الطبعة الثانية). دار الصحف.

عبده، محمد. (1994). *رسالة التوحيد* (الطبعة الأولى). دار الشروق.

عبد الرحمن، طه. (2012). *روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية*. المركز الثقافي العربي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. (دون تاريخ). *سنن أبي داود* (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). المكتبة العصرية.

أركون، محمد. (1996). *الفكر الإسلامي: قراءة علمية* (هاشم صالح، مترجم؛ الطبعة الثانية). مركز الإنماء القومي.

أحمد بن حنبل. (2001/1421). *مسند الإمام أحمد بن حنبل* (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين؛ الطبعة الأولى). مؤسسة الرسالة.

الغزالي، أبو حامد. (دون تاريخ). *مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار* (شرح وتحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان). عالم الكتب.

الحجيلي، عبد الرحمن بن محمد. (دون تاريخ). *المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم* (الطبعة الأولى). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

رضا، محمد رشيد. (1905). ملخص سيرة الأستاذ الإمام. *مجلة المنار*، 8(1)، مارس.

References

‘Abd al-Rahman, T. (2012). *Rūḥ al-dīn: Min ḍayq al-‘ilmāniyya ilā sa‘at al-i‘timāniyya*. Al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī. (in Arabic)

‘Abduh, M. (1994). *Risālat al-tawḥīd* (1st ed.). Dar al-Shuruq. (in Arabic)

Abū Dāwūd, S. ibn al-Ash‘ath. (n.d.). *Sunan Abī Dāwūd* (M. Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, Ed.). Al-Maktabah al-‘Aṣriyyah. (in Arabic)

Aḥmad ibn Ḥanbal. (2001/1421 AH). *Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal* (Shu‘ayb al-Arna’ūṭ et al., Eds.; 1st ed.). Mu’assasat al-Risālah. (in Arabic)

Al-Ghazālī, A. Ḥ. (n.d.). *Mishkāt al-anwār wa-miṣfāt al-asrār* (A. A. al-Dīn al-Sirwān, Ed.). ‘Ālam al-Kutub. (in Arabic)

Al-Ḥujaylī, ʻA. R. ibn M. (n.d.). *Al-muʻjams al-mufahrasah li-alfāẓ al-Qurʻān al-karīm* (1st ed.). Mujammaʻ al-Malik Fahd li-Ṭibāʻat al-Muṣḥaf al-Sharīf. (in Arabic)

Arkoun, M. (1996). *Al-fikr al-islāmī: Qirāʻa ʻilmiyya* (H. Ṣāliḥ, Trans.; 2nd ed.). Markaz al-Inmāʼ al-Qawmī. (in Arabic)

Ashrof, M. (2024). *Reason and revelation in harmony or conflict? Ibn Rushd and al-Ghazali*. Countercurrents. https://countercurrents.org/2024/07/reason-and-revelation-in-harmony-or-conflict-ibn-rushd-and-al-ghazali/

Ba, A. H. (1980). *Vie et enseignement de Tierno Bokar le sage de Bandiagara*. Éditions du Seuil.

Bah, A. (2023). *L'islam rationnel de Souleymane Bachir Diagne*. Riveneuve.

Brague, R., & Diagne, S. B. (2019). *La controverse: Dialogue autour de l'islam* (Entretiens menés par M. Eltchaninoff). Stock.

Diagne, S. B. (2011). *Bergson postcolonial: L'élan vital dans la pensée de Léopold Sédar Senghor et Mohammed Iqbal*. Éditions du CNRS.

Diagne, S. B. (2013). *Comment philosopher en islam ?* Albin Michel.

Diagne, S. B. (2018). *Open to reason: Muslim philosophers in conversation with the Western tradition*. Columbia University Press.

Diagne, S. B. (2020). *Islam et rationalité* [Conférence publique]. Institut du Monde Arabe.

Entretien avec Alioune Bah. (n.d.). *Oumma.com*. https://oumma.com/entretien-al-ioune-bah-auteur-du-livre-lislam-rationnel-de-souleymane-bachir-diagne

Iqbal, M. (2020). *La reconstruction de la pensée religieuse en islam* (A. Bidar, Trad.; Préface de S. B. Diagne). Gallimard.

Riḍā, M. R. (1905). *Mulakhkhaṣ sīrat al-ustādh al-imām*. *Al-Manār*, 8(1), March. (in Arabic)

Shariati, A. (1411 AH). *Al-insān wa-al-islām* (2nd ed.). Dar al-Suhuf. (in Arabic)